

لقاء قناة العراقية بالدكتور إبراهيم الجعفري
بتاريخ 2010/5/5
(الجعفري ورئيس الوزراء)

المقدم: كنتُ مُشرفاً على تشكيل الحكومة عام 2005، وعاصرتُ تشكيل الحكومة في عام 2006، وكنتُ في بؤرة الأحداث في ذلك الوقت، إلى أيّ مدى هناك تشابه أو اختلاف بين ظروف تشكيل الحكومتين في عام 2005 وعام 2006 والظروف الحالية التي نعيشها من أجل تشكيل الحكومة الحالية؟

الجعفري: توجد فروق جوهريّة بين ظروف تشكيل الحكومة السابقة والظروف الحالية، فهناك نضج سياسي اكتسبه السياسيون العراقيون قبل التجربة التي حصلت، وقلة الخروقات على المستوى الدولي، ومحاولات دولية للهيمنة وبسط نفوذها أكثر مما هي عليه الآن، وهناك ثقافة سياسية صاعدة لدى أبناء الشعب العراقي، ورصد للخطاب والخطباء السياسيين، وتقييم للبرامج.

النظرة إلى تجربة السبع سنوات الماضية ومحاولّة تقييم الكيانات والشخصيات على ضوءها، هذا في تقديرّي استحقاق زمني لا يستطيع أحد أن يُوقِف ساعة التاريخ والزمن، كل هذه الفروقات جعلت هناك فرقاً في الظروف لكن ذلك لا يعني أن العملية السياسية متعافية، ولعلّ التحديات تأخذ نمطيات جديدة.

المقدم: البعض يرى أن دمج الائتلافين أو قرار تحالف الائتلافين يُعيدنا إلى المربع الأول وهو الاحتقان الطائفي؟

الجعفري: لماذا لا نسَمِّيه عودة إلى المربع الأول، و لا نسَمِّيه قوة وتماسك الصفوف الوطنية المختلفة، ونؤسّس على شيء اسمه قوة، فقوة كل دولة بقوة مجلس نوابها، وقوة البرلمان بقوة مركباته، فإذا تصدّع الصفّ الوطني الكردي - لا سمح الله - فإن هذا الضعف سينتقل إلى البرلمان ومن ثم إلى الحكومة، فيجب أن نحرص أشدّ الحرص على وجود حالة قوة وتماسك في الصفوف الوطنية جمعاء؛ لأن هذه القوة ستعكس بمُجملها على القرارات المُتخذة في البرلمان وأداء الحكومة كذلك ما دامت تتحرك شي بخطوط متوازية، وتتنافس على خدمة البلد.

كنت أقول منذ أن استعصت عملية التفاعل في أول الطريق: إنه وإن طال الزمن، لكنهما (الائتلاف الوطني وائتلاف دولة القانون) سيندمجان وسيتفاعلان؛ وعياً مني بأن الاتفاق بينهما ليس صفقة لقاءات تنتهي بانتهاء الصفقة، وتتعرّث إذا تقاطعت هذه الصفقات أما اللقاءات الأخرى التي تقوم على أساس مشتركات وطنية حقيقية، وتاريخ مشترك، وتضحيات ورؤية مشتركة فلم تخرج عن الأصل؛ لأننا في الأصل واحد، وهذا لصالح الشعب العراقي.

المقدم: ذكرتَ الإرادة الوطنية أكثر من مرة خلال هذه المداخلة، هل اقتصر الموضوع على إرادة وطنية فقط، أم هناك إرادات أخرى قد تكون إقليمية؟

الجعفري: كلها تتداخل فيما بينها، لكني أتكلم عن الحالة الإجمالية العامة، فربما يحاول البعض بطريقة أو أخرى أن يخلط بين مراعاة الوضع الإقليمي وبين السماح للوضع الإقليمي بأن يتدخل في الشأن الوطني العراقي، وعملية التفاعل بين كل إرادة وطنية وإرادات الوضع الإقليمي، وهنا يبرز الوعي، لكن هناك مصالح حيوية وحقائق تاريخية وجغرافية وهناك مصالح مشتركة نسمح بل يجب أن نتعاطى مع الحالة الإقليمية؛ حتى نحقق المصالح المشتركة، وندراً أخطاراً مشتركة، ونحفظ السيادة، ونتجنب التدخل في شؤوننا.

المقدم: هناك من قال بخصوص دمج الائتلافين: إنه جاء بضغط إيراني، ما مدى صحة هذا الكلام؟

الجعفري: هذا كلام عارٍ عن الصحة.

المقدم: إذا كنت تنفي أيّ ضغط إيراني باتجاه دمج الائتلافين هل تتفق مع الرأي القائل بأن القائمة العراقية تحاول تدويل عملية تشكيل الحكومة، أو تدويل القضية العراقية، وقد استفزتكم كائتلافين؛ فاندمجتم؟

الجعفري: الاندماج لم يكن ردة فعل، إنما هو فعل قائم على مفاهيم ومشاركات وآليات حوار لم تنقطع، ومرة أخرى أؤكد أننا في الأصل ائتلاف واحد، وهناك ظروف استثنائية حولتنا إلى ائتلافين، والآن عاد الائتلاف إلى الأصل.

المقدم: هل يكفي بيان لإعلان تحالف الائتلافين، وتطمين القوى الأخرى بنجاح هذا التحالف، فكل ما سمعناه هو تطمينات بأن الائتلاف سيكون الكتلة الأكبر ومنه رئيس الوزراء.. هل تكفي رسالة التطمين هذه بنجاح الائتلافين، أم سيبقى اختيار رئيس الوزراء أو آلية اختيار رئيس الوزراء عقبة؟

الجعفري: التحالف أكبر من الإعلان، لكنّ الإعلان خطوة أساسية ومهمة؛ لإشعار الآخرين بأن التحالف تمّ، وهذه نقطة أساسية، وإيذان بوليد جديد اسمه التحالف من رحم الائتلافين، وقد كنت، ولأزال أتطلع إلى أن يلقي مردودات إيجابية طيبة لكل حريص على الوطن، من دون شك سيصبّ هذا في صالح الوطنية العراقية والبلد والعملية السياسية.

المقدم: بعض المؤيدين للائتلافين ينظر إلى أن إعلان التحالف نوع من المغامرة قياساً بما ستشهد عمليات الحوار حول اختيار رئيس الوزراء من الصعوبة، لماذا استعجلتم في إعلان الائتلاف قبل أن تضعوا آلية لاختيار رئيس الوزراء؟

الجعفري: فيه صعوبة، لكن لا تصل إلى حدّ المغامرة، ولماذا لا يكون العكس بأن يشكل حافزاً لضرورة إكمال المشوار والمضي في البرنامج الوطني المشترك، وهذه ليست أول تجربة في الائتلاف ففي التجربة السابقة كنا خمسة، ثم انتهت إلى واحد.

المقدم: كنتم ائتلافاً واحداً، والآن ائتلافان ائتلاف حصل على 89 مقعداً وآخر حصل على 70 مقعداً؟

الجعفري: الذهنية نفسها، المهم هو التعامل مع التعدّد؛ حتى ننتهي إلى واحد.

المقدم: هل هذه الروح موجودة في الائتلافين؟

الجعفري: أكيد يوجد حرص، و يوجد تقدير لطبيعة المخاطر التي تحيط بالعملية السياسية، والكل يشعرون بهذا الخطر وجميعهم لديهم واقعية عالية.

المقدم: دعني أسأل عن مشكلة نوري المالكي بالتحديد.. هل هي مع الائتلافين، أم مع الكتل الأخرى، أم مع إقليم كردستان؟

الجعفري: كل تصدّد له ضريبة تعطي انعكاسات، وتظهر عناصر قوة وضعف، ولا أحد يدّعي لنفسه العصمة والكمال، فتوجد أطراف داخل الائتلاف وخارجه لديها وجهة نظر معيّنة في مسألة اختياره، ولا يوجد رئيس وزراء في العالم وصل بالإجماع، ومن استحقاقات التصدي أن ينظر إليه الآخرون بملاحظات وتحفظات أو ما شاكل ذلك.

المقدم: نتحدث معي وكأن اندماج الائتلافين قد قطع الشك باليقين بخصوص أن رئيس الوزراء سيكون من هذه الكتلة بالتحديد، بعبارة أخرى أنتم باندماجكم أطلقتم رصاصة الرحمة على حلم السيد إياد علاوي في تولّي هذه المنصب؟

الجعفري: لماذا بهذا الشكل، مادمنّا نتحرك في إطار الدستور، ولو كان الدستور يسمح من حيث التطبيق للقائمة العراقية هل نعتبر الأخ إياد علاوي أطلق رصاصة الرحمة على الائتلافين؟ طبعاً.. لا.

المقدم: مايزال مُصرّاً وغير مقتنع، والقائمة العراقية غير مقتنعين بتفسير المحكمة الاتحادية؟

الجعفري: الرصاصة الحقيقية التي تخرج عندما يكون الإنسان مرتكزاً على عملية دستورية، والضحية الذي يستحق ذلك هو من يخرج عن الدستور، ومادماً نتحرك في خيارات دستورية بوجود جهة تفسّر الدستور فهذا من حقنا.. هناك شخصيات في العراقية عملت معي في تجربة الحكومة الانتقالية، وأنا أختزن لها ذكريات من العمل الوطني الكفوء، وحتى في قائمة دولة القانون، والإخوة الكرد كذلك، وكلها أرى فيها عناصر قوية.. تلك العناصر لا تسمح لأحد بأن يختزل العراق بمذاق قائمة واحدة.

المقدم: هل هناك صعوبة في تحديد الأسماء المرشحة من الائتلاف الوطني لهذا المنصب للتنافس مع مرشح ائتلاف دولة القانون؟

الجعفري: حتى الآن مايزال باب الترشيح مفتوحاً، والأسماء التي ترددت ليست خافية على أحد.

المقدم: نتحدث عن الدكتور الجعفري.. نتحدث عن الدكتور عادل عبد المهدي.. نتحدث عن السيد باقر جبر الزبيدي؟

الجعفري: كل هذه الأسماء وغيرها مطروحة، والباب مفتوح للتقديم بشكل رسمي، لكنني أعتقد أننا كلما اقتربنا خلال الأيام القليلة المقبلة من نهايتها بالتأكيد سوف تُحسم، وهذه حصلت في تجربتين السابقتين، كما حصلت في الحكومتين المؤقتة والانتقالية.

المقدم: هناك الكثير من الشخصيات السياسية المهمة التي لا تنتمي إلى قطبي التحالف الوطني، لكنني أتحدث هنا عن حزب الدعوة والمجلس الأعلى، فالدعوة حكم في عام 2005 لغاية 2010، والمجلس الأعلى الإسلامي يرى من حقه أن يأخذ هذه الفرصة لوجود دعم خلال هذه السنوات الخمس أو الست الماضية.. هل هناك حديث عن نيل القطب الآخر للرئاسة؟

الجعفري: هذا الكلام غريب؛ لأن الحكومة ليست حكومة حزب الدعوة ولا حزب الدعوة هو حزب السلطة، ولا السلطة سلطة حزب. نعم.. إن رئيس الوزراء من حزب الدعوة، لكن البقية ليسوا من الدعوة، والبرنامج المحكوم به ليس بهذا الشكل، فأعتقد أن هذا شيء إعلامي أكثر من أن يكون سياسياً قائماً على بصيرة.

المقدم: ما آلياتكم داخل الائتلاف الوطني العراقي في اختيار مرشحي الائتلاف لرئاسة الوزراء، أم إن الباب مفتوح؟

الجعفري: هناك حوار حول تحديد آلية، ويُحتمل أن تكون لجنة مؤلفة من دولة القانون والائتلاف الوطني للتحاور حول تحديدها. أعتقد أن وعي المسؤولية يؤدي إلى وعي المسؤول.. نحن ليس لدينا شخص حتى نصمّم له رئاسة وزراء، نحن لدينا وعي لطبيعة المهمة ومقدار الاستحقاقات والمستلزمات والتحديات، ومَن مِن هؤلاء يستطيع أن يواجهه، ويكبح الفساد، ويرفع مستوى الأمن والخدمات، ويُدير البلد بشكل جيد، ويفكّ الاختناقات مع دول الجوار، وغيرها من المتطلبات سيكون جديراً برئاسة الوزراء.

المقدم: من الذي يحسم الأمور بالنسبة للمرشح؟

الجعفري: الحوار.

المقدم: الحوار وليس غير الحوار؟

الجعفري: ماذا تقصد؟

المقدم: أقصد آلية التصويت مثلاً؟

الجعفري: قد نلجأ إلى التصويت.

المقدم: عند ذلك سيكون مرشح الكتلة التي عددها أربعون، والسيد الجعفري هو الفائز؟

الجعفري: إن كان هذا ما تقصده، فالتصويت سنة موجودة في البرلمان، وكل نظام ديمقراطي يعطي حصة للحوار الكافي بعد ذلك يُحسم الأمر بالتصويت، وأعتقد أن هذا شيء تلتقي عليه الأنظمة الاجتماعية في كل العالم.

المقدم: كيف ترى حظوظك في المُجمل برئاسة الوزراء؟

الجعفري: أنا لست من اللاهثين وراء الموقع، لكني لست من المخيّبين لآمال شعبي.

المقدم: هل تقول: إنك ليست لديك الرغبة في أن تصل إلى هذا المنصب؟

الجعفري: إطلاقاً.. أبرأ إلى الله من ذلك، لكن كمسؤولية وطنية تصبح أمامي، وتشير المؤشرات الموضوعية ممن أثق بكفاءتهم وتجربتهم وهم ليسوا محصورين في داخل الائتلاف الوطني بأن عليّ أن أتصدّى لهذه المسؤولية سأستجيب.

المقدم: هل المعطيات التي أبعدتك عن هذا المنصب في عام 2005 مازال موجودة؟

الجعفري: أعتقد أن المخططين ندموا عليها، وإن لم يندموا فسيُدفعون ضريبة ندمهم أكثر وأكثر.

المقدم: هل شعرت بندمهم؟

الجعفري: أنا أسمع على المستوى الدولي والمحلي، ليس كلهم لكني سمعت وبعضهم تعوزه شجاعة الاعتراف، والاعتراف شجاعة. أحبّ أن أقول: ما حصل في التجربة السابقة مضى، وعلى الجميع أن يترفعوا عن الإيقاع بالآخرين وإسقاطهم؛ حتى يُرضي الإنسان نفسه وضميره، ويرضي شعبه.

المقدم: عام 2005 كان هناك اعتراض من بعض الرموز الكردية على ترشيحك، الآن المطالب الكردية واضحة في الشروط التي سيضعها أمام رئيس الوزراء القادم، ومنها: الالتزام بالدستور فيما يخصّ المادة 140 والمناطق المتنازع عليها، وقانون النفط والغاز، وما يخصّ نسبتهم في الميزانية، ومطالبتهم بورقة مكتوبة من رئيس الوزراء، هل أنت مستعدّ للتوقيع على تعهدات مكتوبة للتحالف الكردستاني؟

الجعفري: كل طلب، وكل رد لا ينبغي أن يأخذ صفة شخصية إنما يأخذ صفة دستورية حضارية في العالم كله، فنصيحتي لمن يطلب، ولمن يردّ أن يتحلّى بالعقلية الدستورية في الإجابة عن ذلك، وتقاس وطنية كل مُتصدٍ بمقدار التزامه بالدستور، لكن هذا لا يعدم عليه الحق أنه يريد أن يعدّله، ولا توجد دولة في العالم لم تعدّل دستوراً إلى حدّ 1971 عدّلت الولايات المتحدة دستوراً 26 مرة.

المقدم: لكن لا توجد في دستورهم هكذا آليات للتعديل، فآلياتنا صعبة في التعديل؟

الجعفري: بل دساتيرهم أصعب؛ لأن لكل ولاية دستوراً، ففي أميركا خمسون دستوراً، وخمسون علماً، وخمسون حكومة محلية، وخمسون كونغرساً.

المقدم: ما دمنا نتحدث عن أميركا، هل ترى أن الدور الأميركي انحسر بالتأثير في اختيار منصب رئيس الوزراء، فيما يخصك بالتحديد، كان هناك دور كبير لعبوه عام 2005 بمنعك من الوصول إلى هذا المنصب، الآن هل انحسر الدور الأميركي، أم شعروا بخطأ ما أم شعروا بأنهم ظلموا هذا الشخص في عام 2005، والآن رفعوا هذا الحظر؟

الجعفري: هم ظلموا أنفسهم، كانوا يتكلمون بملء أفواههم عن الديمقراطية، والديمقراطية قدر إنساني وليس قدراً أميركياً، وعندما استيقظت شعوبهم، وقالت لهم: إنكم تتكلمون بالديمقراطية، فلماذا وقفتم ضد الديمقراطية في العراق، فشعوبهم تصرفت معهم، وعاقبتهم، أعني الإدارات، ولنخرج من الجانب الشخصي إلى الجانب الوطني أنا أعتقد أن أميركا تختلف تماماً اليوم غير أميركا عام 2006 وهذا ليس مدحاً؛ لأنني لست من المدّاحين، وليس لديّ عُقدة من أحد، لكن أعتقد أن القضية تختلف، وتوجد علامات وفي أكثر من مرة يصرّحون بأنهم تركوا هذا الأمر للشعب العراقي، ولا يريدون أن يتدخلوا فيه، والإرادات الوطنية العراقية هي الأخرى استيقظت على شيء هو أنه يجب أن نكون وطنيين، ونجسّد إرادتنا وما نريده نصنعه.

المقدم: كيف ترى مقبوليتك لدى إيران والسعودية بكل ما لهاتين الدولتين من نفوذ؟

الجعفري: لا أستمد ثقتي بنفسي من خلال قبول أو رفض إقليمي، نعم.. أراعي هذه القضايا، وليس ردة فعل منذ أن تسنّمت الحكم في تموز عام 2003، وقد أفرغت نفسي سبعة أيام لزيارة سبع دول؛ إيماناً مني بأنه يجب أن نتعامل كجزء من جامعة الدول العربية، ليس بناءً ومقراً في القاهرة، وإنما الحاضنة العربية للدول العربية، فبالنسبة لي أبرم هذه العلاقة، وأطمح لها، لكن لا أتحرك بإشارة عربية أو إشارة إيرانية أو إشارة تركية، ولا تعني لي شيئاً هذه الإشارات، لكني أراعيها بالقدر الذي يخدم العراق، ولا يمسّ السيادة العراقية.

المقدم: كيف قرأت زيارة السيد المالكي لك بعد انقطاع أو برود لمدة ثلاث سنوات؟

الجعفري: والله طبيعية جداً، وقد بادرتُ بالزيارة حين كان مريضاً، فردّ الزيارة بعد أن عُدتُ من سفري، وزرته مرة ثالثة، ولا أكتمك سرّاً تخللت الزيارة حوارات سياسية.

المقدم: لماذا هذه الزيارة في هذا التوقيت تحديداً، أنا قرأتها بطريقة أخرى؟

الجعفري: كيف؟

المقدم: قرأ السيد المالكي تلك الضغوط حول ترشيحه فيقول للناس: إذا لم أكن أنا، فسأعيد الأمانة إلى السيد الجعفري مرة أخرى؟

الجعفري: لم أسمع هذا الكلام من أحد، وقد تحدّثنا في صفحات متعددة، ولم يرد في مفردات الحديث ببني وبينه شيء اسمه أنت أو أنا، لكن حصلت أحاديث، تمحورت حول الملفات العراقية والصعوبة التي تكتنف الظرف الحالي، وكيفية الاقتراب بين الائتلافين.